مراكز الصدارة في الدولة الاسلامية الى العناصر الأجنبية من فارسية وتركية وغيرها • ويميل الباحث الى الربط بين انتشار البديع في العصور المتأخرة وبين احساس الأديب العربي بالقهر • وافتقاده الى الحرية • فمادام الأسلوب هو الانسان • فلابد أن يأتي الانسان الحر بأسلوب حر ولابد أن تتنفس كلماته وحروفه في أجواء حرة صافية • وليس معنى ذلك أن افتقار الأدباء العرب للحرية السبب الأساسي في انتشار البديع ولكنه أحد هذه الأسباب •

ويحمل الاسراف في البديع الذي يعتبر اسرافا في الشكل بذور تمرد على الواقع ، فلم يكن الأدباء والشعراء العرب يتقبلون الواقع السياسي الذي يجعل المماليك سادة يغتصبون الحكم ، ولا الواقع الاقتصادي الذي ساء باستغلال المماليك وسوء تصرفهم وانهماكهم في المناوشات والحروب ، ولا الواقع الاجتماعي الذي كانت تسوده الطبقات وتنتشر فيه كثير من المفاسد ، ولذلك رفضوه وتمردوا عليه • وقد ربط ألبير كامو بين رفض الواقع وشكلية الآثار الفنية فهو يقول : " يؤكد الفنان قوة رفضه بما يفرض على الواقع من معاملة • ولكن ما يستوفي من الواقع في عالمه المبتدع يكشف عن رضاه على الأقل بقسم من الواقع ينتشله الفنان من ظلام الصيرورة ليحمله الى ضياء الخلق • وفي النهاية اذا كان الرفض كليا فان الواقع يزاح بتمامه ، ونحصل على آثار شكلية محض " • (١)

---

(١) الانسان المتمرد : ألبير كامو ، ترجمة نهاد رضا ، ص ٣٣٩ • المكتبة الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦٣ •

خاتمـــــــــة

أرجو أن يكون البحث قد حقق مايأتـــــى :

(١) تقديم صورة واضحة عن اتجاهات الفكر والفن فى الشام ، فى القـــرن الثامن الهجرى ، وكشف مدى ارتباط ذلك بالتفكير البيانى آنذاك . فلقد كان الاتجاه الدينى ، مثلا ، غالبًا على اتجاهات الفكـــــر ، مما أدى الى أن تستهدف بحوث البيان غاية دينية بالدرجـــــة الأولى ، مع الحرص على خدمة علوم السنة وآراء علمائها ؛ فكـان أن حورب الزمخشرى رأس المعتزلة وصاحب الكشاف ؛ ونظر البلغـــاء الى بيان القرآن نظرة متمشية مع الفكر السنى ، متجنبة مذاهـــب الفرق الخارجة على اجماع المسلمين .

(٢) توضيح وجوه التشابه بين الذوق العام لتلك المرحلة وبين الـــذوق البيان . ولقد التمس الباحث الذوق العام من خلال دراســـات اتجاهات الأدب والفن لتلك المرحلة ، فوجد أنه ذوق يميل الـــى الزخرف ويحرص على الصنعة والتفنن وهو يشبه الذوق البيانـــى الذى كان يميل الى استخدام البديع ووضعه على رأس المقاييـــس الجمالية عند الحكم على عمل أدبـــى .

(٣) عرض التراث البيانى لتلك المرحلة ، وقد كشف البحث عن ضخامة ذلك التراث ، وتكامله وافادته من البيئات الفكرية المختلفة ، فكانت هنالك كتب البلاغة الخاصة والعامة ، لخدمة صناعة الشعر والأدب ؛ وكتب مادتها دراسات صناعة الانشاء لتخدم مهنة الكتابة ، وكتب الدراسات الدينية وهدفها خدمة الدين .

(٤) تبرز ملامح مدرسة بيانية فى الشام تختلف عن مدرسة المشارقة فيما وراء النهر وعن المدرسة البيانية فى اقليم المغرب ، وتحتفظ لنفسها بطابع خاص ، ومنهج بيانى يتأثر طريقة الأدباء فى البحث ، فيكثر من الشواهد الأدبية شعرها ونثرها ويهتم بالقيم الجمالية فى النص الأدبى ، ويبتعد ما أمكن عن الاشتغال بالجدل العقلى والمقاييس المنطقية ، فى الحكم . فلقد لخص القزوينى القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى وهو القسم الخاص بالبلاغة ، ولكننا نجد مع ذلك أن بلاغة القزوينى ليست هى بلاغة السكاكى ، ولكنها بلاغة أشربت ذوق أهل الشام وتأثرت مناهجهم فى الدرس البلاغى .

وكان من أهم سمات هذه المدرسة :

أ ـ الأصالة والانفتاح على المدارس الأخرى .

ب ـ التأثر بالناحية الدينية .

جـ ـ غلبة الطابع الأدبى .

(٥) دراسة بعض القضايا النقدية كقضية النقد اللغوى ، وقضية اللفظ والمعنى ، وقضية السرقات الأدبية .

ولقد كان الصفدى يهتم بالنقد اللغوى اهتماما كبيرا ، فيتعرض فى نقده لبنية اللفظة واشتقاقها ، واعرابها ، وعذوبتها ، ومناسبتها للمعنى ، وأثرها فى النفس ، يساعده فى ذلك تمكنه من اللغة ، وتبحره فى علومها .

واقتصر البحث فى قضية اللفظ والمعنى على الحديث عن البديع اللفظى والبديع المعنوى . فكان أهل الشام يميلون الى البديع اللفظى بينما مال المصريون الى البديع المعنوى .

أما قضية السرقات الأدبية ، فقد عولجت من خلال البديع ، فكانت فيه أبواب ، كالسلخ ، والمسخ ، والنسخ ، والاشتراك ، والمواردة ، وحسن الاتباع ، وسلامة الاختراع من الاتباع ، وحسن التضمين ، والاقتباس ، والتلميح ، والحل ، والعقد . وهى نظرة أصحاب البديع الذين كانوا يعتبرون سرقة بعض الألفاظ أو المعانى بديعا ، لأنه يدل على براعة وتفنن .

وكانت نواحى اهتمام المتأخرين بالسرقات تختلف عن نواحى اهتمام القدماء . أولئك يهتمون بسرقة المعانى ، وهؤلاء يهتمون بسرقة النوع البديعى .

(٦) دراسة المقاييس الجمالية التى اصطنعها النقاد فى نقدهم فى تلك المرحلة ، ومن أهمها :

١ـ البديع ٢ـ الوضوح

٣ـ الذوق ٤ـ الجدة

(٧) دراسة فلسفة البديع ؛ بما أنه مذهب الأدباء عامة فى التعبير لتلك المرحلة ، ومفهوم البديع يختلف من حقبة لحقبة ، ومن بيئة فكرية لأخرى ، فبديع الجاهليين ، مثلا ، هو من شاعرية اللغة ، وبديع المحدثين صنعة وتفنن ، أما بديع المتأخرين ، فهو مذهب من مذاهب القول يجدون فيه قيما جمالية تتفق ومفهوم الشعر عندهم . كان الشعر القديم شعر فحول ، فكان اهتمام النقاد ينصرف الى أنواع بديعية خاصة ، كالتشبيه والاستعارة وغيرها . أما المتأخرون فكانوا يجدون فى الشعر قيمة أساسية هامة هى اللطف ، ولذلك جعلوا يهتمون بأنواع بديعية خاصة ، يظهر فيها اللطف كالتورية ، والاستخدام ، والاقتباس ، والتضمين .

ومفهوم البديع عند علماء المعانى يختلف عن مفهومة عنـــــد أصحاب البديع . فهو عند أولئك تحسين زائد عن الحاجة بينما هـــو عند هؤلاء دليل براعة وتفنن ، وأسلوب جميل فى التعبير .

(٨) كشف صلة البديع بالفنون بما يساعد على فهم صلة البديع بالـــــذوق العـــــام .

(٩) كشف بعض دوائر اهتمامات البديع ، كوحدة القصيدة ، والتسلســـل المنطقى فى العبارة ، والخيال ، والقافيـــة .

* * * *